عن لفظه الى معناه فرارا من توارد الالفاظ وان بين محاملين
ثنا في شئ علي خلقين لا يناسب قوله خصلتين الا على انهما علي
غير سنن الخلق يحبهما الله زاد في رواية ورسوله رواه احمد
والنسائي وصححه ابن حبان وهو في مسلم والترمذي من حديث
ابن عباس وتقدمت القصة مبسوطة في الوفود فترديد
السوال وتقريره عليه لقوله قديما اشعر بان في الخلق ما هو
جبلي وما هو مكتسب لانه صلى الله عليه وسلم اقره علي سواله
واجابه بقوله قديما قال ابن حجر وغيره وهذا هو الحق قال
شيخنا وهو جمع بين القولين لا ثالث وقد كان صلى الله
عليه وسلم اذا نظر في المراة يقول اللهم كما حسنت وفي رواية
احسنت خلقي بالفتح فحسن خلقي بالضم لاقوي علي امتثال
الخلق والخلق بتحقق العبودية والرضى بالعدل ومشاهدة
الربوبية قال الطيبي يحتمل ان يريد طلب الكمال واتمام
النعمة عليه باكمال دينه وان يكون طلب المزيد والثبات
علي الكمال اخرجه احمد وصححه ابن حبان من حديث عبد
الله بن مسعود ورواته ثقات قال شيخنا ففيه دليل على
ان حسن الخلق قد يتجدد ويحصل بعد ان لم يكن وقال غيره
تمسك به من قال الحسن الخلق غريزي لا مكتسب والمختار
ان اصول الاخلاق غرائز والتفاوت في الثمرات وهو الذي
به التكليف وعند مسلم في حديث دعا الافتتاح واهدني
باحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت وهو يرد ايضا علي
انها قد تكتسب ومما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من صفات
الكمال ما لا يحيط بحده ولا يحصره عد اثنى الله عليه في كتابه
الكريم فقال ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم
لتحملك من قومك ما لا تحمل امثاله وقالت عائشة ما كان احد
احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد
من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك فلذلك انزل الله
وانك لعلى خلق عظيم رواه ابن مردويه وابو نعيم بسند واه
وكلمة على للاستعلاء تدل اللفظ على انه مستعل على الاخلاق
ومستول عليها اي متمكن من الجري علي مقتضاها ابتدا للعروف

واحتمال

٤٩

واحتمال الاذى وعدم الانتقام فاشبه في تمكنه من ذلك المستعلي علي
الشئ المستقر عليه فهو استعارة تبعية لجريانها في الحرف والخلق
ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة
كان هذا تعريف للخلق الحسن المرغب شرعا وعرفا فلا يقال
بان الخلق قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا ولذا احاذم الخلق في
احاديث كثيرة ولذا اعترض عليه بان هذا التعريف ليس
بصواب اذ الناشئ عن الجبلة يكون جميلا وتارة يكون قبيحا
اخرى وما ذكره انما هو تعريف الخلق الحسن لا لمطلق الخلق
فانه لم يتنبه علي قول الراغب حد الخلق حال الانسان
داعية الى الفعل من غير فكر ولا روية ولا قول الغزالي هيئة
للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير احتياج الى فكر
وروية فان صدر عن الهيئة افعال جميلة محمودة عقلا
وشرعا سميت خلقا حسنا وان صدر عنها افعال قبيحة
سميت خلقا سيئا اجيب بانه لم يدع حصر ما نشا عنها
في الجميل رده شيخنا بان حق التعريف ان يكون جامعا مانعا
والاعتراض بالنظر لهذا قال الحسن في الجواب انه قد يراد
بالتعاريف تعريف بعض الانواع لتمييزه عن غيره بصفة
حتى صار كانه حقيقة في ذلك الشئ وتنزيل غيره منزلة
العدم وهو هنا الخلق الحسن اذ غيره لا اعتبار به وقد وصف
الله تعالى نبيه بان الكمال يرجع الى قوته العلمية بانه
اي ذلك الكمال عظيم والمعنى وصفه بكمال عظيم يرجع الى
قوته العلمية فقال وعلمك ما لم تكن تعلم من الاحكام والغيب
وكان فضل الله عليك عظيما بذلك وتبيينه اذ لا فضل اعظم
من النبوة ووصف ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم
فقال وانك لعلى خلق عظيم تدل بمجموع هذين الايتين
علي ان روحه بين الارواح البشرية عظيمة عالية الدرجة
كانها لقوتها وشدة كمالها من جنس ارواح الملائكة اذ اعطاهم
الله قوة في العمل لا تقصر اليها البشر وفي العلم ما يعلمون به
المعرفة حقائق الامور في اللوح المحفوظ والالهام والعلم
الحضوري بمعرفة الامور على ما هي به في الواقع ولذلك كان
صلى الله عليه وسلم قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)